عن الفن

* **ما موقف الدين من الفن ؟**

وجوانب الفن متعددة ، تشمل :

- الشعر .
- القصص والروايات .
- التصوير .
- النحت .
- السينما .
- المسرح ... إلخ .

* **ما موقف الدين من ذلك كله ؟ ..**

obeikandl.com

obeikandl.com

١ ـ ونبدأ بالشعر

يقول الله تعالى عن رسوله ﷺ : ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ﴾(١) .

لقد نفى سبحانه أنه علَّمه الشعر . فهل لذلك من تعليل ؟

لقد قال الله تعالى : ﴿وَمَا يَنْبَغِي لَهُ﴾(٢) .

هناك ـ إذن ـ مستويات من الإنسانية ، هى فى سموها ترتفع عن مستوى الشعر .

ومن هذه المستويات :

مستوى الرسل ، ولعل مستوى الصِّدِّيقية ـ فى قمته ـ لا يناسبه أيضاً مستوى الشعر ، ولم يكن أبو بكر ، رضوان الله عليه ـ وهو قمة الصِّدِّيقين ـ شاعراً .

ولكنَّ الله سبحانه وتعالى تحدَّث عن مستوى محمد ﷺ أى : تحدَّث عن أعلى مستوى فى المخلوقات .

يقول رسول الله ﷺ ـ فيما رواه الإمام مسلم ـ :

« إنَّ الله اصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إبْرَاهِيمَ إسْمَاعِيلَ، واصْطَفَى مِنْ وَلَدِ إسْمَاعِيلَ بَنِى كِنَانَة، واصْطَفَى مِنْ بَنِى كِنَانَةَ قُرَيشاً، واصْطَفَى مِنْ قُرَيشٍ بَنِى هَاشِم، واصْطَفَانِى مِنْ بَنِى هَاشِم » .

(١، ٢) سورة يس : ٦٩ .

وكل من يحاول ـ فى صدق ـ أن يرتقى صاعداً فى المستوى الروحى ليكون الرسول ﷺ له أسوة وقدوة، فإنه يتنزَّه شيئاً فشيئاً عن الشعر.

إن الله سبحانه لم يعلِّم رسوله ﷺ الشعر، ولم يُنشئ رسول الله ﷺ الشعر، بل وكان ﷺ يتحرَّج عن رواية الشعر.

يقول الإمام الآلوسى:

« لا يُرَدُّ أنه عليه السلام قال يوم حنين، وهو على بغلته البيضاء وأبو سفيان بن الحارث آخذ بزمامها ولم يبقَ معه ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الناس إلا قليل: «**أنا النبىُّ لا كَذب، أنا ابنُ عبدِ المطَّلب**»، لأنَّا لا نسلِّم أنه شعر، فقد عرَّفوه بأنه الكلام المقفَّى الموزون على سبيل القصد، وهذا مما اتفق له عليه الصلاة والسلام من غير قصد لوزنه، ومثله يقع كثيراً فى الكلام المنثور، ولا يسمَّى شعراً، ولا قائله شاعراً ».

ولكن الآية الكريمة ـ على كل حال ـ لا تأمر الرسول ﷺ بعدم قوله.. يقول صاحب «روح المعانى»:

« وليس فى الآية ما يدل على أن النبى ﷺ لا ينبغى له التكلم بشعر قاله بعض الشعراء والتمثُّل به، وفى الأخبار ما يدل على وقوع التكلم بالبيت متزناً نادراً، كما روى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنشد بيت ابن رواحة:

يَبِيتُ يُجَافِى جَنْبَهُ عَنْ فِرَاشِهِ إِذَا اسْتَثْقَلَتْ بِالْمُشْرِكِينَ الْمَضَاجِعُ

وإنشاده إياه كذلك مذكور فى «البحر»، وروى أنه ﷺ أصاب إصبعه الشريفة حَجَرٌ فى بعض غزواته فدميت، فتَمثَّل بقول الوليد بن المغيرة (على ما قاله ابن هشام فى السيرة، أو ابن رواحة على ما صححه ابن الجوزى):

مَا أَنْتِ إلاَّ إصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِى سَبِيلِ اللَّهِ ما لَقِيتِ

وأحياناً كان يتمثَّل رسول الله ﷺ ببيت من الشعر، ولكنه يتمثَّل به غير موزون.. ومن ذلك ما روى أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنشد:

سَتُبْدِى لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً وَيَأتِيكَ مَنْ لَمْ تُزَوِّدْ بِالأَخْبَارِ[1]

فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يا رسول الله؟

فقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

«إنِّى والله ما أنا بشاعرٍ، ولا ينبغى لى».

ويتحدث المفسِّرون والمحدِّثون عن أمثال هذا، ومن ذلك ما أخرجه الإمام أحمد، وابن أبى شيبة، عن عائشة قالت:

«كان رسول الله ﷺ إذا استراثَ[2] الخبرَ تَمثَّل ببيت طرفة: ويأتيك مَنْ لم تزوِّد بالأخبار».

---

(١) ورد هذا البيت فى معلَّقة الشاعر الجاهلى طرفة بن العبد، هكذا:

ستُبْدِى لك الأيام ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار من لم تزوِّد

(٢) استراث: استبطأ، والمراد أنه لابد أن يُعرف الخبر مهما تأخر.

وأخرج ابن سعد، وابن أبى حاتم، عن الحسن أنه ﷺ كان يتمثَّل بهذا البيت: « **كَفَى بالإسلامِ والشَّيبِ للمرء نَاهِيا**».

فقال أبو بكر: أشهد أنك رسول الله، ما علَّمك الشعر، وما ينبغى لك.

وأخرج ابن سعيد، عن عبد الرحمن بن أبى الزناد، أن النبى ﷺ قال للعباس بن مرداس: **أرأيتَ قولك:**

أَتَجْعَلُ نَهْبِى ونَهْبَ العَبِيـ ـدِ بَيْنَ الأَقْـرَعِ وعُيَيْـنَة

فقال له أبو بكر رضى الله تعالى عنه: بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما أنت بشاعر، ولا راوية، ولا ينبغى لك، إنما قال: «**بينَ عُيينة والأقرع**».

وروى أنه قيل له ـ عليه الصلاة والسلام ـ: مَنْ أشْعَرُ الناس؟

فقال: **الذى يقول:**

أَلَمْ تَرَيَانِى كُلَّمَا جِئْتُ طَارِقاً وَجَدْتُ بِهَا وإنْ لَمْ تُطَيَّبْ طِيْبَا

والشطر الثانى من البيت هو:

وَجَدْتُ بِهَا طِيْباً وإنْ لَمْ تُطَيَّبِ.

وأخرج البيهقى فى سننه بسند فيه مجهول، عن عائشة قالت: «ما جمع رسول الله ﷺ بيت شعر قط إلا بيتاً واحداً:

تَفَاءَلْ بِمَا تَهْوَى يَكُنْ، فَلَقَلَّمَا يُقَـالُ لِشَىْءٍ: كَانَ، إلاَّ تَحَـقَّق

قالت عائشة: ولَمْ يَقُلْ «تَحقَّقا» لئلاَّ يعربه فيصير شعراً».

ولقد كان المكيُّون يحاولون أن يقللوا من شأن القرآن الكريم، ويقللوا من شأن الرسول ﷺ ، فكان من وسائلهم فى ذلك قولهم عن القرآن أنه شعر، وعن الرسول أنه شاعر ، وكان القرآن يردُّ عليهم فى ذلك . .

يقول الله تعالى :

﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (٣٨) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (٣٩) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (٤٠) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ (٤١) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ (٤٢) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (٤٣) ﴾(١) .

ولقد كان كثير من العرب أنفسهم - حتى غير المسلمين منهم - ينفون عن القرآن أنه شعر، وعن الرسول ﷺ أنه شاعر .

هذا فيما يتعلق بالرسول ﷺ . . أما فيما يتعلق بالشعر نفسه فإن الله تعالى يقول :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾(٢) .

ثم يعلِّل الله تعالى هذه القضية ، فيقول :

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾(٣) .

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾(٤) .

ومن الطرائف التى لها معناها العميق لمن يتدبرها - رغم أنها طرائف - ما يرويه الحافظ ابن كثير ، قال :

---

(١) سورة الحاقة : ٣٨ - ٤٣ .
(٢) سورة الشعراء : ٢٢٤ .
(٣) سورة الشعراء : ٢٢٥ .
(٤) سورة الشعراء : ٢٢٦ .

اختلف العلماء فيما إذا اعترف الشاعر فى شعره بما يوجب حَدّاً. هل يقام عليه الحَدُّ بهذا الاعتراف أم لا ؟ . . لأنهم يقولون ما لا يفعلون ؟ . .

ـ على قولين : وقد ذكر محمد بن إسحق، ومحمد بن سعد فى (الطبقات) والزبير بن بكار فى كتاب (الفكاهة) أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ استعمل النعمان بن عَدىّ بن نضلة على ميسان، من أرض البصرة. وكان يقول الشعر، فَقال :

أَلاَ هَلْ أَتَى الحَسْنَاءَ أنَّ خَلِيلَهَا ... بِمَيْسَانَ يُسْقَى فِى زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ
إذَا شِئْتُ غَنَّتْنِى دَهَاقِينُ قَرْيَةٍ ... وَرَقَّاصَةٌ تَحْثُو عَلَى كُلِّ مَبْسِمِ
فَإنْ كُنْتَ نَدْمَانِى فَبِالأَكْبَرِ اسْقِنِى ... وَلاَ تَسْقِنِى بِالأَصْغَرِ المُتَلَثِّمِ
لَعَلَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ ... تَنَادُمُنَا بِالجَوْسَقِ المُتَهَدِّمِ

فلمَّا بلغ ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، قال : إىْ والله ! إنه ليسوؤنى ذلك، ومَنْ لقيه فليخبره أنى قد عزلته.

وكَتب إليه عمر :

بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ حمٓ ۝١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِى الطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾(١).

أما بعد، فقد بلغنى قولك :

(١) سورة غافر: ١ـ ٣.

لَعَلَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَسُوؤُهُ تَنَادُمُنَا بِالْجَوْسَقِ الْمُتَهَدِّمِ

وأَيْمُ الله ! إنه ليسوؤنى ذلك، وقد عزلتك».

فلما قدم على عمر بكَّتَهُ بهذا الشعر.

قال: والله ـ يا أمير المؤمنين ـ ما شربتها قط، وما ذاك الشعر إلا شيء طفح علَى لسانى.

فقال عمر: أظن ذلك، ولكنْ ـ والله ـ لا تعمل لى عملاً أبداً؛ وقد قلتَ ما قلتَ!.

فلم يُذكر أنه حَدَّه على الشراب ـ وقد ضمَّنه شعره ـ لأنهم يقولون ما لا يفعلون. ولكنْ ذَمَّه عمر، ولامه على ذلك، وعزله به.

وحكى الزمخشرى، عن الفرزدق، أن سليمان بن عبد الملك سمع قوله:

فَبِتْنَ بِجَانِبَيَّ مُصَرَّعَاتٍ وَبِتُّ أَفُضُّ أَغْلاَقَ الْخِتَامِ

فقال: قد وجبَ عليك الحد.

فقال: يا أمير المؤمنين، قد دَرَأَ الله عنِّى الحدَّ بقوله:

﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ﴾(١).

وما من شك فى أن وجهة نظر الفاروق ﷺ أن من يتولَّ ولاية لا يجوز له أن يكون عابثاً بالقول أو بالسلوك.

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢٦.

وإنه لمن المؤسف أن يوجد فى البلاد الإسلامية الولاة الذين دَيْدَنُهُم العبث، يجاهرون به أحياناً، ويُسرُّون به أحياناً، ولكن أمرهم حين يُسرُّون به يعلنه ندماؤهم وَأخدانهم، وهؤلاء لا يصلح بهم مجتمَع، ولا تستقيم لهم به أمور.

وإذا كان الشعر لا ينبغى لبعض المستويات، فهل نأخذ من ذلك أنه حرام؟..

أم هل نأخذ من ذلك أنه مكروه؟..

نحب قبل الإجابة عن هذا السؤال أن نذكر أن رسول الله ﷺ كان يشجِّع حسان بن ثابت على قول الشعر، ويشجِّع غيره من شعراء الصحابة على قوله دفاعاً عن الرسول ﷺ، ورداً على المشركين.

وقد أنصت الرسول ﷺ لكعب بن زهير وهو ينشد قصيدته المشهورة:

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِى اليَوْمَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَها لَمْ يُفْدَ مَكْبُولُ

وفيها يمدح كعب بن زهير الرسول ﷺ وصحبه بقوله:

إنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ به مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ مَسْلُولُ

فِى فِتْيَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَالَ قَائِلُهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ لَمَّا أَسْلَمُوا: زُولُوا

زَالُوا فَمَا زَالَ أَنْكَاسٌ ولا كُشُفٌ يَوْمَ اللقَاءِ وَلاَ مِيلٌ مَعَازِيلُ

وقد بلغ من إعجاب الرسول ﷺ بهذه القصيدة، وهذا المديح

الجميل، أن خلع ﷺ عليه بُرْدَته الشريفة التى احتفظ بها، واحتفظ بها ورثته من بعده زمناً طويلاً.

وهناك فى سيرة الرسول ﷺ القصائد العصماء من أمثال البُرْدَة والهمزية.. إنها دُرَرٌ نفيسة ترضى الذوق والوجدان والشعور الراقى! وإننا جميعاً نسعد حينما نقرأ لشوقى فى معارضته لهمزية البوصيرى قوله:

فَإِذَا سَخَوْتَ بَلَغْتَ بِالجُود المَدَى ... وَفَعَلْتَ مَا لاَ تَفْعَلُ الأَنْوَاءُ(١)
وَإِذَا عَفَوْتَ فَقَادِراً وَمُقَدَّراً ... لاَ يَسْتَهِينُ بِعَفْوِكَ الجُهَلاءُ
وَإِذَا رَحِمْتَ؛ فَأَنْتَ أُمٌّ أَوْ أَبٌ.. ... هَذَانِ فِى الدُّنْيَا هُمَا الرُّحَمَاءُ
وَإِذَا غَضِبْتَ فَإِنَّمَا هِىَ غَضْبَةٌ ... فِى الحَقِّ لاَ ضِغْنٌ ولا بَغْضَاءُ
وَإِذَا رَضِيْتَ فَذَاكَ فِى مَرْضَاتِه ... وَرِضَا الكَرِيمِ تَحَلُّمٌ وَرِيَاءُ
وَإِذَا خَطَبْتَ فَلِلْمَنَابِرِ هِزَّةٌ ... تَعْرُو النَّدَى(٢) وَلِلْقُلُوبِ بُكَاءُ
وَإِذَا قَضَيْتَ فَلاَ ارْتِيَابَ كَأَنَّمَا ... جَاءَ الخُصُومَ مِنَ السَّمَاءِ قَضَاءُ
وَإِذَا حَمَيْتَ المَاءَ لَمْ يُوْرَدْ وَلَوْ ... أَنَّ القَبَاصِرَ وَالمُلُوكَ ظِمَاءُ
وَإِذَا أَجَرْتَ فَأَنْتَ بَيْتُ اللَّهِ لَمْ ... يَدْخُلْ عَلَيْهِ المُسْتَجِيرِ عَدَاءُ

(١) النَّوء: المطر الشديد، أو العطاء. والمراد: وصفه ﷺ بالكرم والجود والسخاء وكثرة الخير والعطاء.
(٢) أى أن الخشوع يعمُّ المكان كله بمن فيه.

وَإِذَا مَلَكْتَ النَّفْسَ قُمْتَ بِبِرِّهَا ... وَلَوَ انَّ مَا مَلَكَتْ يَدَاكَ الشَّاءُ

وَإِذَا بَنَيْتَ فَخَيْرُ زَوْجٍ عِشْرَةً ... وَإِذَا ابْتَنَيْتَ فَدُونَكَ الآبَاءُ[1]

وَإِذَا صَحِبْتَ رَأَى الوَفَاءَ مُجَسَّماً ... فِى بُرْدِكَ الأَصْحَابُ والخُلَطَاءُ

وَإِذَا أَخَذْتَ العَهْدَ أَوْ أَعْطَيْتَهُ ... فَجَمِيعُ عَهْدِكَ ذِمَّةٌ وَوَفَاءُ

وَإِذَا مَشَيْتَ إِلَى العِدَا فَغَضَنْفَرٌ ... وَإِذَا جَرَيْتَ فَإِنَّكَ النَّكْبَاءُ[2]

وَتَمُدُّ حِلْمَكَ لِلسَّفِيهِ مُدَارِياً ... حَتَّى يَضِيقَ بِعَفْوِكَ السُّفَهَاءُ

فِى كُلِّ نَفْسٍ مِنْ سُطَاكَ[3] مَهَابَةٌ ... وَلِكُلِّ نَفْسٍ فِى نَدَاكَ رَجَاءُ

* * *

ويمكن أن يسأل إنسان: وماذا كان موقف الصحابة والتابعين من الشعر؟..

إن موقفهم هو موقف الرسول ﷺ منه، وعن ذلك نذكر ما يلى:

عن عمر الرّكاء - بسنده - عن الجوهرى والمهلبى، قال:

بَيْنَا ابن عباس فى المسجد الحرام وعنده نافع بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه، إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين

(١) البناء بالأهل: الدخول عليهن. والابتناء: أن يصبح ذا بنين.

(٢) النكباء: ريح تهبّ بين ريحين. (٣) سُطا: جمع سطوة.

مصبوغين موردين أو ممصرين(فيهما شيء من صفرة) حتى دخل وجلس ، فأقبل عليه ابن عباس فقال : أنشدْنا، فأنشدَه :

أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ غَدَاةَ غَدٍ أَمْ رَائِحٌ فَمُهَجِّرُ

حتى أتى على آخرها ، فأقبل عليه ابن الأزرق فقال : الله يابن عباس! إنَّا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد، نسألك عن الحلال والحرام فتتثاقل عنا، ويأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك :

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَخْزَى، وَأَمَّا بِالعَشِيِّ فَيَخْسِرُ

فقال : ليس هكذا قال .

قال : فكيف قال ؟

قال :

رَأَتْ رَجُلاً أَمَّا إِذَا الشَّمْسُ عَارَضَتْ فَيَضْحَى، وَأَمَّا بِالعَشِيِّ فَيَخْصَرُ

فقال : ما أراك إلا وقد حفظت البيت !

قال : أجل ، وإن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إياها !

قال : فإنى أشاء .

فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها .

وفى رواية : أن ابن عباس أنشدها من أولها إلى آخرها ، ثم أنشدها من آخرها إلى أولها مقلوبة، وما سمعها قَطُّ إلا تلك المرة صفحاً (أى : مروراً) . قال : وهذا غاية الذكاء !

فقال له بعضهم : ما رأيت أذكى منك ـ قَطُّ ـ !

فقال : لكنى ما رأيت ـ قَطُّ ـ أذكى من على بن أبى طالب رضي الله عنه .

وكان ابن عباس يقول : ما سمعت شيئاً قَطُّ إلا رويته ، وإنى لأسْمَعُ صوتَ النائحة فأسدُّ أذنى كراهةَ أن أحفظ ما تقول !

قال : ولامه بعض أصحابه فى حفظ هذه القصيدة : (أمن آل نُعْم . . .) فقال :

إنَّا نستجيدها .

قال الزبير بن بكار فى خبره عن عمه : فكان ابن عباس بعد ذلك كثيراً ما يقول : هل أحْدَثَ هذا المغيرىُّ شيئاً بعدنا ؟

قال : وحدثنى عبد الله بن نافع بن ثابت ، قال :

كان عبد الله بن الزبير إذا سمع قول عمر بن أبى ربيعة (فيضحى وأما بالعشىِّ فيخصر) قال : لا ، بل (فيخزى ، وأما بالعشىِّ فيخسر) .

وفى هذا الخبر : ثم أقبل ـ أى : ابن عباس ـ عَلَى ابن أبى ربيعة فقال :

أنشدْ ، فأنشده : (تشطّ غداً دار جيراننا) وسكت . فقال ابن عباس : «وللدار بعد غد أبعد» . فقال له عمر : كذلك قلتُ ـ أصلحك الله ـ أفسمعته ؟ . قال : لا ، ولكن كذلك ينبغى .

وعن هشام الكلبى أن عمر بن أبى ربيعة أتى عبد الله بن عباس وهو فى المسجد الحرام فقال : متَّعنى الله بك ! إن نفسى قد تاقت إلى قول الشعر ونازعتنى إليه ، وقد قلت منه شيئاً أحببت أن تسمعه وتستره علىَّ !

فقال: أنشدْنى. فأنشده: (أمن آل نعم أنت غاد فمبكر).

فقال له: أنت شاعر يا ابن أخى، فقل ما شئت. قال: وأنشد عمر هذه القصيدة طلحة بن عبد الله بن عوف الزهرى وهو راكب، فوقف وما زال شانقاً ناقته حتى كُتبت له!

وعن عبد الجبار بن سعيد المساحقى، عن أبيه، قال: دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مساحق، فإنه لمعتمد على يدى إذ مررنا بسعيد بن المسيَّب فى مجلسه، وحوله جلساؤه، فسلَّمنا عليه فردَّ علينا، ثم قال لنوفل: يا أبا سعيد، مَنْ أشْعَرُ: صاحبنا أم صاحبكم؟

(يريد: عبد الله بن قيس، أمْ عمر بن أبى ربيعة؟).

فقال نوفل: حين يقولان ماذا يا أبا محمد؟

قال: حين يقول صاحبنا:

خَلِيلَـىَّ مَا بَالُ المَطَايَا كَأَنَّمَـا ... نَرَاهَا عَلَى الأَدْبَارِ بِالقَوْمِ تَنْكُصُ

وَقَدْ قُطِعَتْ أَعْنَاقُهُنَّ صَبَابَةً ... فَأَنْفُسُنَا مِمَّا يُلاَقِينَ شُخَّصُ

وَقَدْ أَتْعَبَ الحَادِى سُرَاهُنَّ وَانْتَحَى ... بِهِنَّ فَمَا يَأْلُو عَجُولٌ مُقَلِّصُ[1]

يَزِدْنَ بِنَا قُرْباً فَيَزْدَادُ شَوْقُنَا ... إِذَا زَادَ طُولُ العَهْدِ وَالبُعْدِ يَنْقُصُ

ويقول صاحبك ما شئت.

فقال له نوفل: صاحبكم أشعر فى الغزل، وصاحبنا أكثر أفانين شعر.

---

(١) المقلِّص: المشمِّر الجادّ فى سيره.

فقال سعيد : صدقت .

فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وَفَّى مائة ، فقال البكرى فى حديثه عن عبد الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا قلت لنوفل : أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر فى مسجد رسول الله ﷺ ؟

فقال : كَلاَّ ! هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه . ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه .

بعد كل ذلك نتساءل : هل موقف الدين من الشعر : الإباحة إنشاءً ، وإنشاداً ، وسماعاً ، دون قيد أو شرط ؟

كَلاَّ ! . .

يقول الله تعالى :

﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِى لَهُ إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ (٦٩) لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾(١) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ (٢٢٧) ﴾(٢) .

---

(١) سورة يس: ٦٩ ، ٧٠ .

(٢) سورة الشعراء: ٢٢٤ـ ٢٢٧ .

لقد تحدثنا عن أن هناك مستويات ، هى من الكمال بحيث لا يتناسب معها الشعر ، وذلك مثل مستوى الرسل ـ عليهم الصلاة والسلام ـ وكلام الله سبحانه وتعالى يتنزه مستواه عن مستوى الشعر ، ولكن الآيتين الأوليين لا توحيان بتحريم الشعر .

أما الآيات التى وردت فى سورة الشعراء ، فلو اقتصرت على الآيات الثلاث الأولى ، لأوحت بتحريمه ، ولكن ورد بعدها استثناء ؛ فانتفى التحريم المطلق ، وانتفى أيضاً أن يكون الشعر حلالاً مطلقاً .

إن هذا الاستثناء قد وضع شروطاً ، وهذه الشروط توافرت فى كثير من الشعراء : إما فى جميع مراحل حياتهم وإما فى ختامها .

وقد روى الشيخان أن رسول الله ﷺ قال ـ لحسَّان بن ثابت ـ :

« **اُهْجُهُمْ** » ـ (أى : المشركين) ـ أو قال : « **هَاجِهِمْ ، وجبريلُ مَعَكَ** » .

وأخرج الإمام « أحمد » فى مسنده ، عن كعب بن مالك ، أنه قال للنبى ﷺ : إن الله عز وجل قد أنزل فى الشعر ما قد علمت ، وكيف ترى فيه ؟ . .

فقال النبى ﷺ :

« إنَّ المؤمنَ يُجَاهدُ بِسَيفِه ولسَانِه ، والَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَكَأَنَّ ما تَرْمُونَهُمْ بِهِ نَضْحُ النَّبْلِ » .

ويبدأ الاستثناء ، وتبدأ الشروط بقوله تعالى :

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١) .

والإيمان حينما يتمكن من القلب يعصمه من قول الفحشاء ، ومن التغنى بها ، ولكن الإيمان أحياناً يكون مجرد تصديق لا ينتهى إلى عصمة الإنسان عن قول السوء ، ومن أجل ذلك أتبعه الله تعالى بقوله :

﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾(٢) .

وما من شك فى أن عمل الصالحات من أهم ما يعصم الإنسان عن التردِّى فى مهاوى الضلال ، وأنه مما يمسك الإنسان عن الانحراف عن عمل الصالحات أن يكون الله تعالى مذكوراً دائماً فى شعوره وفى إحساسه ؛ ومن أجل ذلك أضاف الله تعالى قوله :

﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيراً﴾(٣) .

والله سبحانه وتعالى يأمر فى عدة مواضع من الكتاب الكريم بالذكر الكثير ، وهو سبحانه يأمر بذلك فى إطلاق مطلق ، ولكنه سبحانه يذكر أحياناً إشارة موجهة ، أو لمحة منبهة ، أو ملحظاً تعليلياً جليلاً يبين مكانة الذاكرين ، كما يقول تعالى مثلاً :

(١ ، ٢ ، ٣) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾(١).

فالله سبحانه وتعالى ـ هنا ـ جعل الذكر من سمات أولى الألباب ومن طابعهم .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٩) فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(٢).

فهو سبحانه فى هذه الكلمات القرآنية الكريمة يقول :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ ﴾(٣) . .

ولم يقل : فإذا قُضى الذكر ، لأن الذكر ممتد ، وقته دائم لا ينقضى ولا يزول ، ثم بيَّن الله تعالى فى آخر الآيتين الكريمتين من أواخر سورة الجمعة ، أن الذكر الكثير سبب الفلاح ، والمفلحون هم الفائزون حقاً ، وهم الذين نالوا مرضاة الله تعالى .

---

(١) سورة آل عمران : ١٩٠ ، ١٩١ .

(٢) سورة الجمعة : ٩ ، ١٠ .

(٣) سورة الجمعة : ١٠ .

ونبَّه الله ـ سبحانه وتعالى ـ الشعراء إلى أن مما يأخذ بهم إلى طريق الهدى فى شعرهم : الذكر الكثير .

وشرط آخر ينبغى أن يتوافر فى الشعراء حتى يكونوا ممن يسير على الجادة ، وذلك هو ما عبَّر الله تعالى عنه بقوله :

﴿ **وَانتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا** ﴾[1] .

وهذا الشرط يمكن الحديث فيه كثيراً :

يمكن أن يقال : إن بعض الشعراء أرباب أقلام وليسوا أرباب سيوف ، إن الجرأة تنقصهم ، والإقدام ليس حليفاً لهم ، فشاء الله تعالى أن ينبههم إلى أن المؤمن الصادق شجاع مقدام ، وكما يستعمل لسانه فى قول الحكمة ، فإنه ينبغى أن يستعمله فى الانتصار للحق ، وفى رد الظلم ، وفى الوقوف فى وجه الباطل .

ولابد ليكون الشاعر شاعراً إسلامياً من أن يتوافر فيه :

* **الإيمان .**
* **العمل الصالح.**
* **الذكر الكثير.**
* **الوقوف فى وجه الظلم.**

وتنتهى هذه الآيات من سورة الشعراء بقوله تعالى :

﴿ **وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ** ﴾[2] .

وهى كلمة أبلغ وأوضح من كل تفسير .

(١ ، ٢) سورة الشعراء : ٢٢٧ .

ونعود الآن إلى الموضوع من جديد لنرى ما رُوى فيه من آثار، وما قاله أسلافنا من مفسرين ومن فقهاء فى الموضوع.

يقول الإمام الشافعى رضي الله عنه:

« **الشعر نوع من الكلام، حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكلام، وقَبيحُهُ كقَبيحِ الكلام** ».

ويقول « أبو عمرو » ـ فيما رواه القرطبى ـ:

« ولا ينكر الحسنَ من الشعر أحدٌ من أهل العلم ولا من أولى النُّهَى، وليس أحد من كبار الصحابة، وأهل العلم، وموضع القدوة، إلا وقد قال الشعر، أو تمثَّل به، أو سمعه، فَرضيَهُ: ما كان حكمة أو مباحاً، ولم يكن فيه فُحْشٌ ولا خَنَاً، ولَا لمسلمٍ أذًى، فإذا كان كذلك فهو والمنثور من القول سواء، لا يحلُّ سماعه ولا قوله».

وروى « أبو هريرة » رضي الله عنه قال:

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول:

« **أَصْدَقُ كلمةٍ ـ أو أَشْعَرُ كلمة ـ قالتها العربُ قولُ لَبِيدٍ: ألاَ كُلُّ شَيْءٍ ما خَلاَ اللَّهَ بَاطِلُ** ».

أخرجه مسلم، وزاد: «**وكاد أُميَّة بن أبى الصَّلْت أن يُسْلِم**».

وروى عن « ابن سيرين » أنه أنشد شعراً، فقال له بعض جلسائه: مثلك ينشد الشعر يا أبا بكر؟

فقال : وَيْلُكَ ـ يا لُكَع ـ وهل الشعر إلا كلام لا يخالف سائر الكلام إلا فى القوافى ، فحسنه حسن وقبيحه قبيح » .

ويروى الإمام « مسلم » من حديث « عمرو بن الشريد » ، عن أبيه قال : ردفتُ رسول الله ﷺ يوماً فقال :

« **هَلْ مَعَكَ مِنْ شِعْرِ أُميَّة بن أبى الصَّلْت ؟** »..

قلت : نعم . قال : «**هيه**» . فأنشدته بيتاً ، فقال : «**هيه**» . حتى أنشدته مائة بيت .

ومما عَـقَّب به صـاحب «الجـامع لأحكام القـرآن» على ذلك قوله :

« وفى هذا دليل على حفظ الأشعار والاعتناء بها إذا تضمنت الحِكَم ، والمعانى المستحسنة ، شرعاً وطبعاً ، وإنما استكثر النبى ﷺ من شعـر «أميَّـة» لأنه كـان حكيـماً ، ألا ترى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ :

« **وَكَادَ أُمَـيَّة بن أبى الصَّلت أنْ يُسْلِم**» . . فأما ما تضمَّن ذكر الله وحده والثناء عليه فذلك مندوب إليه» .

وكانت هناك مواقف محددة لبعض الخلفاء من الشعراء الذين يقولون هجراً ، من ذلك موقف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ـ كما ذكر الزبير بن بكار ـ إذ قال : حدثنى مصعب بن عثمان أن « عمر بن عبـد العـزيز » ـ لما ولى الخلافة ـ لم يكن له هَمٌّ إلا « عـمر بن أبى

ربيعة» و «الأحوص» الشاعران فكتب إلى عامله على المدينة : إنى قد عرفت عمر والأحوص بالشر والخبث فإذا أتاك كتابى هذا فاشْدُدْ عليهما ، واحملهما إلىَّ . فلمَّا أتاه الكتاب حملهما إليه ، فأقبل على عمر ، فقال : «هيه . . !» . .

فَلَمْ أَرَ كَالتَّجْمِيرِ مَنْظَرَ نَاظِرٍ وَلاَ كَلَيَالِى الحجِّ أَفْلَتْنَ ذَا هَوَى
وَكَمْ مَالِئٍ عَيْنَيْهِ مِنْ شَىْءِ غَيْرِهِ إِذَا رَاحَ نَحْوَ الجَمْرَةِ البِيْضِ كَالدُّمَى

أمَا ـ واللهِ ـ لو اهتممت بحجك لم تنظر إلى شىء غيرك ، فإذا لم يفلت الناس منك فى هذه الأيام فمتى يفلتون ؟ . ثم أمر بنفيه .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أو خير من ذلك ؟

فقال : ما هو ؟

قال : أعاهد الله أنى لا أعود إلى مثل هذا الشعر ، ولا أذكر النساء فى شعر أبداً ، وأجدِّد توبة .

فقال : أوَ تفعل ؟

قال : نعم .

فعاهد الله على توبته ، وخلاَّه ، ثم دعا بالأحوص . فقال : «هيه . . !» . .

اللَّهُ بَيْنِى وَبَيْنَ قَيِّمِهَا يَفِرُّ مِنِّى بِهَا وَأَتَّبِعُ

بل الله بين قيِّمها وبينك ! ! . ثم أمر بنفيه ، فكلَّمه فيه رجال من الأنصار ، فأبَى وقال :

«واللهِ لا أردُّه ما كان لى سلطان ؛ فإنه فاسق مجاهر » .

فهذا حكم الشعر المذموم وحكم صاحبه؛ فلا يحل سماعه ولا إنشاده فى مسجد ولا غيره؛ كمنثور الكلام القبيح ونحوه.

وروى إسماعيل بن عياش، عن عبد الله بن عوف، عن محمد بن سيرين، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ:

« **حَسَنُ الشِّعر كَحَسَنِ الكلامِ، وقَبِيحُهُ كَقَبيحِ الكلامِ** »، رواه إسماعيل عن عبد الله الشامى، وحديثه عن أهل الشام صحيح؛ فيما قال « يحيى بن معين » وغيره.

وروى « عبد الله بن عمرو بن العاص » ـ قال ـ: قال رسول الله ﷺ:

« **الشِّعْرُ بمنزلةِ الكلام: حَسَنُهُ كَحَسَنِ الكلامِ، وقَبِيحُهُ كَقَبيحِ الكلامِ** ».

وبعد..

فإن الآيات القرآنية الكريمة ـ من سورة يس، ومن سورة الشعراء ـ تحدد تحديداً دقيقًا موقف الإسلام من الشعر، وما ذكرناه من حديث شريف، أو قول لبعض أسلافنا، أو موقف للإمام الورع الخليفة عمر بن عبد العزيز، إنما هو إيضاح لما ورد فى القرآن مُوْجَزاً ومُعْجِزاً.

* * *

٢- رأينا موقف الإسلام من الأدب شعراً، فهل يختلف عن ذلك موقفه من الأدب نثراً؟

والواقع أن الإجابة عن هذا السؤال قد تَضمَّنها حديثنا عن الشعر، وتضمنتها كلمات من كلام سيد المرسلين ﷺ، وتضمنتها كلمة الإمام الشافعي رضي الله عنه:

« حَسَنُهُ حَسَنٌ، وقَبيحُه قبيحٌ ».

وإذا كان هذا منطقاً بدهياً، فإن رأياً من الآراء نشأ فى عصور اليونان القديمة وأخذ يتخطى القرون قرناً فقرناً.. يخفت أحياناً ويستعلن أخرى، حتى وصل إلى عصرنا الحاضر؛ فأخذ يستعلن كرأى، وأخذ يستعلن كتطبيق، ذلك هو قولهم:

« الأدب للأدب »..

ويعنون بذلك: أن الأديب يجب ألاَّ تقيِّده حدود من تقاليد أو عُرْف أو دين أو خُلق أو فضيلة أو قومية، وأنه يجب أن يسير فى كتابته حراً طليقاً من كل تحديد.

هذه البدعة نشأت فى الجو اليونانى القديم، وهو جوٌّ تَخلَّى فيه الأدباء عن الدين ونشأت فى بيئة سَادَها جوُّ السوفسطائيين، إنها نشأت فى مجتمع كان فيه أبيقور، وكانت مظاهر الوثنية تحت بصر الإنسان، وأحاديثها تملأ سمعه.

مجتمع آلهته الوثنية: شهوانيون، مرتشون.. لا يعرفون عدالة، ولا إنصافاً، وإنما يحابون من يقدم لهم القرابين، ويخذلون من لم يتخذ عندهم يداً من الهدايا والأضاحى.

وفى هذا المجتمع اليونانى القديم كانت كل بدعة تجد لها أنصاراً، وكل ضلال يجد له من يتبعونه.

وسادت بدعة «**الأدب للأدب**»..

وكتبَ الأدباء الأدب المكشوف، الأدب الجنسى، أدب الإثارة أدب الشهوة، الأدب الذى يستثير الغرائز، ويحرِّض على الخيانة الزوجية، ويدعو إلى التحلل.

وهذا الأدب يروج عند المراهقين، وعند الشبان فى بواكير عهدهم بالشباب، وعند الفتيات المراهقات، ومن هن فى بواكير العهد بالشباب.

ومن وراء رواجِ «هذا النوع المُسفِّ من الأدب» ثراء لمن يكتبون؛ فلم يتورعوا عن الاندفاع فىَ الكتابة بما يرضى شياطين الإنس والجن؛ من أجل المال.

وفى عصرنا الحاضر، وفى بيئتنا المصرية طائفة من الكُتَّاب من هذا النوع، يلعنهم الله ورسوله ويلعنهم كل من يتعشق الفضيلة، وكل مؤمن صادق الإيمان.

والأدب فى أوضاعه المستقيمة إنما هو لإصلاح المجتمع والسير به فى طريق الكمال خطوة فخطوة، وإن كل من يضع لَبِنَتَهُ فى

صَرْح الفضيلة فإنما يضع لَبِنَةً فى صرح الكمال، وإن كل من يضع لبنةً فى صرح الرذيلة فإنما يضع لبنةً فى صرح النقص.

وإن الأدباء الذين يجرون وراء الاستشارة الجنسية والأدب المكشوف: خائنون للوطن، ويعيشون فى مَقْت الله؛ لأنهم مفسدون.

ومع تنبيهنا إلى فساد هذه البدعة فإن ذلك لا يحجب مفاسد أخرى؛ وذلك أنه أحياناً يتطوع الكاتبون بأقلامهم لتأييد فكرة يجارون فيها صاحب السلطان، وهذا يحدث هنا وهناك، إنه يحدث فى الشرق والغرب كما يجرى الأمر مثلاً فى روسيا، وفى بلاد «الكتلة الشرقية» التى يُضرب على أهلها بستار حديدى، ويقعون تحت حكم مسيطر لا يستطيعون الانفكاك عنه.

إن أدباء هذا السجن الكبير الذى يضم أقطاراً بأكملها: رجالاً ونساء، وشُبَّاناً وشابات، وأطفالاً وشيوخاً... إن أدباء هذا السجن يكتبون مؤيِّدين نظام السجن.. مجنِّدين له.. إنهم منافقون.

وفى فترة من الفترات الماضية ظن بعض المنافقين عندنا أنهم يُرضون الحاكم إذا كتبوا مؤيدين للشيوعية، فأخذوا يطوِّعون الدين لهذه الفكرة بكل وسيلة من الوسائل، من ذلك مثلاً: تمثيلية عن أبى ذر رضي الله عنه.

لقد كان أبو ذر ﷺ صحابياً جليلاً يتفانى فى حب الله ورسوله ﷺ ، وكان زاهداً فى حطام الدنيا ، ورأى رسول الله ﷺ يقتنى الإبل ويتخذ لها الرعيان ، ورأى أبا بكر يَتَّجِر ويربح ويكون من الأثرياء ، ويرى الكثير من الصحابة يأخذون المال بحلِّه وينفقون فى سبيل الله ، ولكنه رأى بعض الناس - وهذا أمرٌ عادىٌّ فى كل عصر - يتجه إلى الدنيا ويُوليها الكثير من وقته ؛ فأخذ يبشِّر بالزهد : الزهد الدينى ، زهد المتجرِّدين .

وكان فى عهده ذو النورين المبشَّر بالجنة ، الخليفة الثالث عثمان ابن عفان ﷺ ، من أغنى الأغنياء ، وكان غناه سبباً فى أن جهَّز جيش العُسْرة ، وأن الرسول ﷺ قال - حينما ألقى عثمان فى حجْره مالاً كثيراً من الذهب والفضة - :

« **اللهمَّ ارْضَ عن عثمان، فإنِّى عنه راضٍ** » ، وأخذ يَجُول بيده الشريفة فى الذهب ويقول :

« **ما عَلَى عثمانَ ما فعلَ بعدَ اليوم** » .

وبَشَّر رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف بالجنة ، وكانت ملايين عبد الرحمن بن عوف تُنقذ البائس ، وتُشبع الجائع ، ويصل بها رَحِمَهُ ، ويُعين بها على نوائب الحق .

ودعانا القائمون على «التليفزيون» لرؤية «التمثيلية» التى تتعلق بأبى ذر ، وذهبنا لمشاهدتها مع بعض العلماء ، وبعض المؤرِّخين . .

فإذا بنا أمام تزييف للتاريخ، وتَجَنٍّ على الفُضَلاء الشرفاء من الصحابة الأثرياء، ونفاق للحاكم بدون ورع، وبدون صدق، وذلك من أجل النفاق للحاكم، ومن أجل حكام الدنيا.

لقد نزلوا بمكانة كثير من الصحابة، زاعمين - بالإشارة، أو بالتلميح - أنهم من الإقطاعيين، وهكذا زَيَّفوا التاريخ ولم يراعوا الحق، من أجل شهوة غَلاَّبة، هى شهوة المنصب أو المال.

يجب - إذن - أن يتخلَّى الكاتبون عن اجرى وراء الباطل فى سبيل المنفعة الشخصية، ويجب على الحاكمين ألاَّ يشجِّعوا مواكب النفاق التى تتوالى فى كل الأزمنة مُحَسِّنةً للحاكم هواه، مُؤْثِرةً هواه على رضاء الله تعالى.. حتى ولو خالفَ أمْرَ الله:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾[1].

* * *

(١) سورة النساء: ١١٥.

٣ـ ونحب الآن ـ بتوفيق الله تعالى ـ أن نتحدث عن زاوية من زوايا الفن طال فيها النقاش فى العصر الحاضر وطال فيها النقاش فى الماضى، ألا وهى التصوير، سواء أكان رقماً فى ثوب أم نقشاً على الجدار، وسواء أكان رسماً على ورق أم تماثيلَ مُجَسَّدة

إن كل ما يحدث من ذلك ـ مُخلاً بالآداب ، مثيراً للشهوة ، منافياً للفضيلة ـ فهو حرام حرمَة لا شك فيها ، وذلك مثل الأجسام العارية ، والصور الخليعة .

وقد ابتُلينا فى هذه الأيام بالكثير من ذلك ، بل أصبحت الإعلانات عن «الكباريهات» عن طريق الصور العارية تنشر فى الصحف اليومية وغيرها ، ولا تتورع صحيفة عن نشر هذه الإعلانات ، ولا تكاد توجد صحيفة إلا وهى تتهالك على نشر ذلك طلباً للمال .

وما من شك فى أن كل مال يُؤدَّى فى ذلك فهو سُحْتٌ تمتنع عنه النفس الأبيَّة والأخلاق الفاضلة ، وأكثر من ذلك . . فإنه توجد مجلات متخصصة فى نشر الصور العارية المثيرة ، وتمر هذه المجلات على الرقابة فلا تعيرها اهتماماً ، وتصرِّح بها ، وتصبح بين أيدى الشبان وطلبة الجامعات ، وطالباتها .

ويكثر الفساد فى المجتمع نتيجة لهذا السوء الذى أصبح مألوفاً، وكأن الله تعالى لم يُحرِّمْهُ، وكأن المجتمع لا دين له.

ونعود فنقول: إن كل ذلك حرام، وفاعلوه ومُبيحو نشره فى المجتمع ملعونون فى عُرْف الفضيلة، ومن قِبَل الله سبحانه وتعالى.

ونوع آخر حرام - لا شك فى حرمته - وهو هذه الأصنام التى أخذت منذ فترة تنتشر شيئاً فشيئاً فى العالم الإسلامى، إنها الأصنام التى يقيمونها هنا وهناك، تخليداً لذكرى شخص، أو رمزاً لفكرة معينة، أو تعبيراً عن القوة أو الجمال.

يقول الله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾(١).

ويقول تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة: ٩٠ ـ ٩٢. (٢) سورة الأنعام: ٧٤.

ويقول سبحانه :

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

ويقول تعالى :

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ (٥١) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ (٥٢) قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ (٥٣) قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٥٤) قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ (٥٥) قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ (٥٦) وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ (٥٧) فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴾ (٢) .

وحينما دخل رسول الله ﷺ مكة أخذ يحطم الأصنام، دون استثناء، وهو يقول :

﴿ .. جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ (٣) .

والتحريم فيما يتعلق بهذه الأصنام يقين، لا شك فيه .

---

(١) سورة إبراهيم : ٣٥ ، ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء : ٥١ ـ ٥٨ .

(٣) سورة الإسراء: ٨١ .

ومما يذكر فى هذا الصدد ما ذكره القرآن الكريم عن بنى إسرائيل مُبيِّناً أن فكرتهم عن الإله سبحانه لم تكن فكرة مستنيرة وإنما كانت فكرة ضالة ، وقد صوَّرها القرآن فى صورتين ، أبرع ما يكون التصوير الساخر الموجِّه المرشد المعلِّم .

إحداهما هذه الصورة :

لقد أنعم الله على بنى إسرائيل بنعمة النجاة ، وما إن تمت النجاة حتى رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم ، وعن ذلك يقول الله تعالى :

﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ (١٣٨) إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٣٩) قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (١) .

ويقول سبحانه :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ (٧٤) قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٧٥) أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ (٧٦) فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٢) . .

---

(١) سورة الأعراف : ١٣٨ـ ١٤٠ . (٢) سورة الشعراء : ٦٩ ـ ٧٧ .

أما الصورة الثانية فهى :

﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ ﴾ (١).

وقد يقول قائل :

إن علَّة تحريم الأصنام فى الإسلام أنها كانت تُعبد من دون الله . . ولكن هذه العلة زالت فى العصر الحاضر ، فلا يتأتى أن يصنع الإنسان صنماً ويعبده فى عهد هذه الحضارة التى عَمَّت الشرق والغرب ؟

ونحب ـ إجابة عن ذلك ـ أن نقول :

---

(١) سورة الأعراف : ١٤٨ـ ١٥٢ .

إن الإسلام حَرَّم ذلك تحريماً مطلقاً لا يقيده زمن ولا مكان ، وإن حكمة الله فوق كل حكمة ، والمبادئ التى أوحاها سبحانه لا تنقضها أهواء البشر ، ثم إنه فى هذه الحضارة التى عمَّت الشرق والغرب ما زالت البقر تُعبَد أو تُقدَّس ، وما زالت تُثير المعارك وتُسيل دماء بنى البشر ، دماء أهل وطن واحد .

وفى هذه الحضارة الحديثة ما زالت الأصنام تُعبَد أو تقدَّس ، فى معابد لا تُحصَى ، من معابد الشرق الأقصى .

وفى هذه الحضارة الحديثة ما زالت بعض الأديان فى أكبر الدول تحتفظ بطابع اللامعقول ، طابع يتميز بأنه ضد العقل والمنطق والتفكير السليم ، ويتغلغل هذا الطابع فى كثير من زواياها ، ولكن الإلف ، والزمن ، والتكرار ، والتعوُّد . . كل ذلك جعل منها أدياناً تستمر فى الماضى ، وما زالت مستمرة فى الحاضر ، مع أنها خرافات وأساطير .

وقد أعلن كبار مؤرخى الأديان عن الأساطير فيها والخرافة ، ومع ذلك ما زالت مستمرة .

وأمْرُ الإنسان - فى الحاضر أو فى الماضى - غريب :

إن الإلف يغرس فى شعوره أن المألوف صحيح ، وأن ما عليه الآباء والأجداد - من عقائد - حقٌّ . إنه يفعل ذلك دون تأمُّل أو فحص ، بل إنه يفر ويهرب من التأمل والفحص إذا أدَّاه ذلك إلى

إنكار المألوف من العقائد، ويُسْكِتُ فى نفسه ـ بالقهر ـ صوتَ الإنكار أو النقد.

وبقيت أساطير، واستمرت خرافات، ودام ضلالٌ دهوراً:

إنَّا وجدنا آباءنا . . .

ونخلص ـ من كل ذلك ـ إلى القول بأمرين، هما من البداهة بمكان:

١ـ إن كل ما يتنافى مع الدين فى التصوير مُحَرَّمٌ.

٢ـ إن الأصنام ـ على أىِّ وضعٍ كانت: تمثيلاً لشخص، أو تمثيلاً لفكرة ـ محرَّمة.

بقى بعد ذلك أهم جانب ـ من الوجهة العلمية البحتة ـ نحب أن نتحدث عنه، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يُستعمل الآن فى شمول عام، هذه الصور التى تُستخدم فى البطاقات الشخصية، وفى جوازات السفر، والصور الخاصة بالذكريات، وصور الأبناء للآباء، أو صور الآباء للأبناء. .

* * *

٤ـ موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية، وفى جوازات السفر، والصور الخاصة بالذكريات

انتهينا فيما كتبناه سابقاً عن «موقف الإسلام من الفن» من الحديث عن الأدب شعراً ونثراً.

وانتهينا من تحديد موقف الإسلام من الأصنام التى تُقام، ومن التماثيل التى تُنصب فى الميادين العامة أو فى غيرها.

بقى بعد ذلك أهم جانب ـ من الوجهة العلمية البحتة ـ نحب أن نتحدث عنه، وذلك هو موضوع التصوير العادى الذى يستعمل الآن فى شمول عام، هذه الصور التى تستخدم فى البطاقات الشخصية، وفى جوازات السفر، والصور الخاصة بالذكريات وصور الأبناء للآباء، أو صور الآباء للأبناء.

وإنى أتحدث الآن عن هذا الموضوع وأنا أعلم أنه مثار نزاع حاد، يبدأ شيئاً فشيئاً على توالى الأيام، ولكن هدفه لا يرجع إلى اقتناع المانعين، بل إلى طغيان الموجة، وقصورهم عن مقاومتها.

ونحن لا ننظر ـ فى إعلان رأينا ـ إلى وضع قائم أو إلى طغيان الموج أو العوج، أو إلى حاجات فى المجتمع تقتضى التحليل، وإنما نرجع ـ فى رأينا ـ إلى الوثائق، وإلى آراء أسلافنا، وقد

اختلفوا هم الآخرون اختلافاً كثيراً محلِّلين أو محرِّمين، ونحن نبدأ بحديث صحيح رواه الإمام البخارى فى صحيحه ، قال :

حدثنا قتيبة : حدثنا الليث عن بُكير عن بُسْر بن سعيد عن زيد ابن خالد عن أبى طلحة صاحب رسول الله ﷺ ، قال :

إن رسول الله ﷺ قال : إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة. قال بُسْر: ثم اشتكى زيد فعُدْناه ، فإذا على بابه سِتْرٌ فيه صورة ، فقلت لعبيد الله الخولانى ـ ربيب ميمونة زوج النبى ﷺ ـ:

ألم يخبرنا زيدٌ عن الصور يومَ الأوَّل ؟. فقال عبيد الله : ألم تسمعه حين قال: إلا رَقْماً فى ثوب ؟ .

وقال ابن وهب : أخبرنا عمرو ـ وهو ابن الحارث ـ حدثه بكير، حدثه بُسر، حدثه زيد، حدثه أبو طلحة عن النبى ﷺ .

هذا الحديث الشريف هو الأساس الذى يقوم عليه رأينا .

ويقول الإمام النووى :

« **وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل ، وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقاً** ».

ثم يعقِّب الإمام النووى على ذلك بقوله :

« **وهو مذهب باطل** » .

ولكن الإمام ابن حجر ـ صاحب فتح البارى ـ يعقِّب على ذلك قائلاً عن مذهب « بعض السلف » هذا :

المذهب المذكور نقله ابن أبى شيبة عن القاسم بن محمد بسند صحيح ولفظه :

« **عن ابن عون قال : دخلت على القاسم وهو بأعلى مكة فى بيته، فرأيت فى بيته حَجَلة فيها تصاوير القُنْدُس والعَنْقَاء** » .

ففى إطلاق كونه مذهباً باطلاً نظر ، إذ يحتمل أنه تمسَّك فى ذلك بعموم قوله : « **إلا رقماً فى ثوب** » . فإنه أعمُّ من أن يكون معلَّقاً أو مفروشاً ، وكأنه جعل إنكار النبى ﷺ على عائشة تعليق السِّتر المذكور مركَّباً من كونه مصوَّراً ، ومن كونه ساتراً للجدار ، ويؤيده ما ورد فى بعض طرقه عند مسلم ، فأخرج من طريق سعيد بن يسار عن زيد بن خالد الجهنى قال : « دخلت على عائشة . . . » ، فذكر نحو حديث الباب ، لكن قال : فجذبه حتى هتكه ، وقال :

« **إنَّ الله لم يأمرنا أن نكسوَ الحجارةَ والطينَ . قال : فقطعنا منه وسادتين** » . . الحديث .

فهذا يدل على أنه ﷺ كره سَتْرَ الجدار بالثوب المصوَّر ، فلا يساويه الثوب الممتهن ولو كانت فيه صورة ، وكذلك الثوب الذى لا يُستر به الجدار .

والقاسم بن محمد أحد فقهاء المدينة ، وكان من أفضل أهل زمانه ، وهو الذى روى حديث النمرقة ، فلولا أنه فهم الرخصة فى مثل الحجلة ما استجاز استعمالها .

ويقول الإمام ابن حجر :

وقد أخرج ابن أبى شيبة من طريق أيوب عن عكرمة، قال: كانوا يقولون فى التصاوير فى البسط والوسائد التى توطأ ذُلٌّ لها.

ومن طريق عاصم عن عكرمة قال: كانوا يكرهون ما نُصب من التماثيل نصباً، ولا يرون بأساً بما وطئته الأقدام.

ومن طريق ابن سيرين، وسالم بن عبد الله، وعكرمة بن خالد، وسعيد بن جبير قولهم أنهم قالوا: لا بأس بالصورة إذا كانت تُوطأ.

ومن طريق عروة أنه كان يتَّكئ على المرافق فيها تماثيل الطير والرجال.

ويلخص الإمام أبو بكر بن العربى المذاهب فى « التصوير ». . فيقول:

حاصل ما فى اتخاذ الصور أنها إن كانت ذات أجسام حَرُمَ بالإجماع، وإن كانت رَقْماً فأربعة أقوال:

الأول: يجوز مطلقاً، على ظاهر قوله فى حديث الباب « إلا رقماً فى ثوب ».

الثانى: المنع مطلقاً حتى الرقم.

الثالث: إن كانت الصورة باقية الهيئة قائمة الشكل حَرُمَ، وإن قُطعت الرأس أو تفرَّقت الأجزاء جاز.

قال: وهذا هو الأصح.

الرابع: إن كان مما يُمتهن جاز، وإن كان معلَّقاً لم يَجُزْ.

ولقد حمل أبو على الفارسى لفظ «المصوِّرين» فى الأحاديث التى تتحدث عن عذابهم على « المُشَبِّهة » .

وقال : إنهم المراد بقوله : « المصوِّرون » أى : الذين يعتقدون أن لله صورة ـ كما يقول .

ويقول أبو محمد الجوينى : « إن نسج الصورة فى الثوب لا يمتنع ، لأنه قد يُلبس » .

وقال البعض : إن التصوير على الأرض ـ ونحوها ـ جائز .

وبعد..

فإن الآراء فى هذا النوع من الفن لم تُجْمِعْ على الحِلِّ ولا على التحريم .

ونحن نميل إلى الحلِّ مستندين إلى الحديث الشريف ومتناسقين مع كل الآراء التى ذهَبت إلى الحلِّ ، وإننا مطمئنون كل الاطمئنان إلى ما ذهبنا إليه ، على الرغم منَ أن كثيرين يخالفوننا فى الرأى ، وكل مجتهد مخلص مأجور .

ولقد كتبت « مجلة المسلم » ـ نقلاً عن كتاب « الإسلام والحضارة العربية » للأستاذ محمد كرد على ـ ما يلى :

أقرَّ الرسول الكريم ـ سيدنا محمد ﷺ ـ النقود التى كان يستخدمها العرب فى الجاهلية ، وكانت تَرِدُ من الممالك المجاورة ، وهى مصوَّرة .

وضربَ عمر الدراهم نقش الكسروية وشكلها .
وضربَ معاوية دنانير عليها تمثالٌ متقلِّدٌ سيفاً .
واستعمل زيد بن خالد سِتْراً فيه صُوَر .
وكانت المنسوجات اليمنيةَ فيها تصاوير .
وصُنعت الصُّوَر فى دارى مروان بن الحكم وسعيد بن العاص.
ـ وهكذا لم يُحَرِّم الإسلام صناعة مفيدة فى كثير من العلوم والفنون.

* * *

٥ـ رأى أفلاطون . وهو رأى يشبه فى كثير من جوانبه الرأى الإسلامى

لعلَّه أصبح واضحاً الآن موقف الإسلام من :

١ـ الفن من زاوية الشعر .

٢ـ الفن من زاوية النثر .

٣ـ الفن من زاوية التصوير الفوتوغرافى ، والتصوير بالرسم .

٤ـ الفن من زاوية الأصنام والتماثيل .

ولعلَّه من المستحسن أن نذكر رأى أفلاطون فى موضوع الفن ، ونذكر رأى «أفلاطون» بالذات لأنه كان فناناً . وأقصد بذلك أنه كان أديباً ممتازاً فى أسلوبه الرائع الجميل .

وكان أديباً ممتازاً فى هذه القصص التى كان ينشرها هنا وهناك ويعبِّر بها عن أدق مسائل الفلسفة فى صورة سردية .

لقد كان «أفلاطون» ـ فى عُرْف جميع الذين أرَّخوا له ـ أديباً من الطراز الأول .

وكان فيلسوفاً ، وكثير من مؤرِّخيه وضعوه على رأس الفلسفة ، ويسمُّونه «أفلاطون الخالد» ، ويسمُّونه «أفلاطون الإلهى» ، ويُفَضِّله كثيرون على أرسطو . .

إنه فنان يُبدِى رأيه فى الفن .

وهو فيلسوف يزن رأيه فى الفن بميزان دقيق . .

ولكنه حين يبدى رأيه فى الفن لا يبديه كأديب فقط ، ولا كفيلسوف فحسب ، وإنما يبديه كأديب وفيلسوف ، ويبديه أيضاً كمُصلح اجتماعى له رأيه فى المجتمع المثالى وكيف يتحقق .

ومن أجل كل ذلك كان رأى «أفلاطون» له وزنه ، وخصوصًا لأنه لا يتحدث باعتباره ممثلاً للدين أو عالماً من علمائه . يتحدث «أفلاطون» عن الجمهورية المثالية ، ويتحدث عن الطبقات التى تتكون منها الجمهورية ، وعما ينبغى أن تكون عليه كل طبقة .

وعند حديثه عن الطبقة الفضية ، وهى طبقة الجند ، تعرَّض - بصورة خاصة ، وبصورة عامة - إلى الواجب فيما يتعلق بموضوع الفن ، وبدأ بالشعر ، وبدأ فى الحديث عن الشعر بما يجب أن يُسمح به من الشعر .

ومما نحب أن يتنبه إليه القارئ فى تأمل رأيه فى الشاعر اليونانى «هوميروس» وفى الشاعر اليونانى «هزيور» وفى قصة «الإلياذة» وفى قصة «الأوديسًّا» .

وذلك أن منْ أدبائنا مَنْ رفع شأن هؤلاء رفعة لا تكاد تضارعها رفعة أديب آخَر ، وأشاد بالشاعرين وبالقصتين إشادة بالغة ، فى مقابلة ذلك نذكر رأى مواطنهما «أفلاطون» ، إذ يتحدث عن ثقافة الجُندى .

وكان مما قال فى ذلك :

يجب على الذين يتولَّون بناء المجتمع المنشود أن يميِّزوا من بين الأحداث أصحاب الاستعداد الحربى فيفصلوهم طائفة مستقلة، ويتعهدوهم بالتربية، وعليهم أن يرتِّبوا لهم رياضة بدنية تنشِّئهم أصحَّاء أقوياء، وعليهم أن يغذُّوا نفوسهم بالآداب والفنون، فتكون التربية واحدة للجميع إلى حوالى الثامنة عشرة، وتكون سهلة لذيذة؛ لأن الإكراه لا يكون للرجال الأحرار.

وتكون فاضلة: تبدأ بالقصص الجديَّة البريئة الحاثَّة على الخير، وتُستبعد منها قصص (هوميروس، وهزيود) ومَنْ نَحَا نحوهم من الشعراء؛ فإنها مرذولة من حيث المادة، ومن حيث الصورة.

أما من حيث المادة فقد سَمَّجَتْ عقولَ اليونان، وأفسدتْ ضمائرهم بما تروى عن الآلهة والأبطال من أخبار الخصومات وقبيح الأفعال، وبما لا تفتأ أن تردِّده من أن الرجل العادل يعمل لخير غيره وشقاء نفسه، وبما تصف من هول الموت وتفاهة الحياة الأخرى، مما يُوهن العزيمة ويُقْعد عن الجهاد فى سبيل الوطن.

وأما من حيث الصورة؛ فإن الفن يقوم بالمحاكاة، ويخلق المحاكاة، والشعر - بألفاظه وأوزانه - يحاكى كل شىء.. القوى الطبيعية، والحيوانات، والبشر، والنزعات الرفيعة، والشهوات الدنيئة، فيبعث فى النفس مثل ما يصف من العواطف والأفعال، والمحاكاة المتصلة تصير عادة، فتلقين الحواس القصص القديمة

يُفسد طبيعتها، فنحن مع إعجابنا بمحاسن هذا الشعر ننعته بأنه مُعلِّمُ وَهْمٍ، ونعمد إلى صاحبه فنضع إكليلاً على رأسه ونشيِّعه إلى حدود المدينة فننفيه نفياً ونحن نترنَّم بمديحه، ولا نستبقى غير الشاعر عفِّ اللسان، سديد الرأى، هادئ النسق، الذى يحاكى الخير ليس إلا.

وينتقل «أفلاطون» من الفن الهوميرى إلى الفن بالإجمال، ويتحامل عليه ويتعسَّف فى نقده، فهو لا يرى الفن شيئاً أوَّل له قيمة فى ذاته، ولكنه يضعه فى المرتبة الثالثة بعد المثال أو الوجود الحق، وبعد صورته المحسوسة المتحققة فى الطبيعة، فإن الفن يحاكى الوجود الطبيعى، وهذا الوجود يحاكى الكمال، فالفن صورة الصورة وشبح الشبح: يصنع النجار السرير محاكياً مثال السرير، ويصوِّر المصوِّر سرير النجار؛ فهو ليس حاصلاً على العلم الحق الذى موضوعه المثال أو الشىء بالذات، ولا على الظن الصادق، وإنما هو جاهل مخادع يأخذ على نفسه محاكاة الأشياء الطبيعية، فيبرزها مشوَّهة فى غير نسبها الحقيقى، من حيث المقدار والشكل.

ولكنه لا يخدع إلا عن بعد، ولا يخدع إلا الجهلاء، وكذلك الشاعر، فإنه لو كان يعلم حقاً ما يتظاهر بعلمه، لكان يعمل بدل أن يقول، ولكان يقود الجيوش أو يشرِّع القوانين، و«هوميروس» لم يفعل شيئاً من ذلك، ولكان يُؤْثِرُ أن يحيا حياة مجيدة،

و«هوميروس» ارتضى لنفسه أن يكون قَصَّاصاً للحياة المجيدة وراويةً.

فالفن - بالإجمال - أداة إيهام وتخييل، والشعر دجل؛ كالتصوير؛ إذا نُزع عنه سحر اللفظ والتوقيع بدا شاحباً فقيراً، يستطيب وصف العواطف، وهى متقلِّبة متنوِّعة، ولا يجد له موضوعاً فى العقل الثابت الهادئ، فيُهيج العواطف، ويشلُّ العقل، مثله مثل طاغية يقلِّد السلطة للأشرار ويضطهد الأخيار، فإنه يُوحى بالعطف على أفعال وانفعالات رديئة، ويُضعف إشرافنا على الجزء الشهوى من النفس، فيحرك فينا البكاء تارة، والضحك طوراً، ويدفعنا - ونحن نشهد التمثيل - إلى استحسان ما ننكره فى الحياة الحقيقية، وإلى التصفيق لما نغضب له فى الواقع.

و«التراجيديون» لا يرمون لغير إحراز إعجاب الجمهور، والجمهور لا يميل إلى الأشخاص الحكماء الرزينين، بل يطلب أشخاصاً شهويين متقلبين تملأ تقلباتهم وشهواتهم القصة، فيلهو بها ويميل معها إلى كل جانب.

وأما «الكوميديا» فهى رديئة بالذات، تَضْحَكُ من إخواننا فى الإنسانية، وتُنمِّى حاجة المزاح والسخرية.

إذن: فعلى الشارع أن يراقب جميع مظاهر الفن، وجميع الفنانين من شعراء، ومغنِّين، وممثِّلين، ومصوِّرين، وغيرهم،

فيخلق بيئة كلهـا جمال سليم رزين ، ويُنشئ مواطنين كاملين يتوجهون إلى الفضائل عفواً، ويصون نفوسهم من كل خدش ، إذ ليست الغاية من الفن توفير اللذة ، بل التهذيب والتطهير.

هذا هو رأى أفلاطون..وهو رأى يشبه فى كـثير من جوانبه الرأى الإسلامى ، بيد أن الرأى الإسلامى يمتاز بالدقة والاتزان، والبعد عن جو الأساطير.

* * *

obeikandl.com

٦ـ إيضاح حول « الفن للفن »
والفن للحق والفضيلة

السيد الأستاذ الفاضل/ رئيس التحرير

. . مجلة آخر ساعة[١]

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد . . فقد نشرت مجلتكم فى عددها الماضى مقالاً عن المسرح نسبت فيه إلىَّ القول بتحريمه .

وأرجو من سيادتكم ـ حرصاً على توضيح الأمر ، وحتى لا يُسىء قراؤكم الظن ـ نشر الكلمة التالية . . ولكم جزيل الشكر .

والواقع أن الموضوع ـ كما ظهر فى مجلة «آخر ساعة» ـ يثير أسئلة كثيرة فى نفس القارئ، تحتاج إلى توضيح وبيان .

والأمور حينما تؤخذ هكذا : مُجْمَلة ، مُوجَزة ، مبتورة ، وحينما تؤخذ نتائج ، هى عبارة عن كلمات ، فإنها تؤدى إلى سوء الفهم أكثر مما تبعث على حسن التفاهم .

ونحن إذا نظرنا إلى نشأة المسرح فى الأمة اليونانية ، وأذكر الأمة اليونانية بالذات ؛ لأن المسرح الحديث ليس إلا امتداداً لمسرح اليونان ؛ فإننا نجد أنه نشأ منفصلاً عن الدين .

---

(١) رد إلى المجلة حول كلمات نسبت إلى الإمام عبد الحليم محمود رحمه الله عن المسرح بين الحل والتحريم.

وقد لا يكون فى ذلك ضرر فى نظر كثير من الناس، ولكن المسرح حينما ينشأ بعيداً عن الدين ، فإن معنى ذلك أنه ينشأ نشأة فنية بحتة ، أى : أنه ينشأ معتمداً على المبدأ السائد الآن ، وهو «الفن للفن »، هذا المبدأ هو الذى نحاربه باعتبارنا دعاة أخلاق، وباعتبارنا دعاة مُثل أخلاقية ثابتة .

نحن - إذن - نحارب مبدأ سائداً فى المسرح ، ولا نحارب المسرح، والمبدأ الذى ندعو إليه ويدعو إليه علماء الدين فى كل مكان ، ويدعو إليه فريق كبير من المفكرين والمصلحين ، على اختلاف فى طبقاتهم ومهنهم ، وهو المبدأ الذى كان سائداً فى الحضارة الصينية القديمة مثلاً، والحضارة الهندية القديمة، والحضارة المصرية القديمة ، إنما هو « الفن للفضيلة » أو « الفن للأخلاق » أو « الفن الموجَّه » .

إننا نحارب الفن المنطلق ، الفن المتحرِّر ، الفن المكشوف، الفن الإباحى ، الفن اللا دينى .

وأظن أن السيد الفاضل « رئيس التحرير » يوافقنى على أن فننا المسرحى الحالى لا يتَّسم - فى قليل ولا فى كثير - بأن الأساس الذى يقوم عليه إنما هو : الفضيلة ، والدين ، والخير ، والحق .

ومن هنا تتبين وجهة نظرنا فى الموضوع : إنه محل اختلاف فى الرأى بين فئتين كبيرتين من المفكرين - أوربيين، وشرقيين - وبين روحين مختلفين لنوعين من الحضارات الكبرى، وبين نزعتين مختلفتين فى تصوُّر الحياة : وسائل وغايات .

وموضوع الاختلاف هو السؤال القديم الحديث : « هل الفن للفن ، أم أن الفن للفضيلة ؟» . . ولسنا بصدد شيء أكثر من هذا .

ولست أنا الذى أشرِّع للحلال والحرام : فالحلال بَيِّنٌ والحرام بَيِّنٌ ، وكلٌ منَّا يعرف - فى قرارة نفسه - حَدَّ الحِلِّ ، وحَدَّ الحُرمة . وبعضنا يحاول أن يغش نفسه ، وأن يزيِّف ضميره ، وبعضنا يعلن رأيه واضحاً سافراً مهما وجد من السخط أو من السخرية عند من يكذبون على أنفسهم ويخدعون ضميرهم ، بل إن السخط نفسه والسخرية إنما يبعثان الداعية على مضاعفة جهده لأنهما المقياس الذى يدل على مدى الفساد : قوةً وضعفاً .

ومما لا شك فيه : أن فكرة « الفن الموجَّه » لها - الآن - فى «الجمهورية العربية المتحدة » أنصار كثيرون : فإذا دعا داعٍ إلى أن الفن يجب أن يعبِّر عن الاشتراكية ، أو أن الفن يجب أن يبتَعد عن التخنُّث ، أو أن الفن يجب ألاَّ يتعرض للدين ؛ فإن ذلك معناه أن الفن ليس للفن ، وكل ذلك - إذن - إنما هو تأييد جزئى لما ندعو إليه .

بقى أن نتساءل : لماذا يتجه الفن إلى التحرُّر وتسود فيه - رغم نداء المصلحين - فكرة التحرُّر . . إنه كذلك لأن هذا إنما يتماشى مع الشهوات والغرائز والرغبات الجنسية . . وتنتهى المشكلة ؛ مشكلة الفن - لا محالة - إلى السؤال التالى :

هل من الواجب أن يخضع الفن للغرائز ، أم من الواجب أن نوجِّهه إلى الفضيلة ؟

لقد ذهبت مرة إلى تسجيل فى الإذاعة، وكان ذلك فى شهر رمضان، ولظرف طارئ غيَّرت الإذاعة مكان تسجيل الحديث..

وذهبت إلى مكان التسجيل الجديد؛ فإذا به مكان تسجيل التمثيليات وإذا بالممثلات كثيرات.. بعضهن ينتظرن التمثيل، وبعضهن يسترحن خارجات من التمثيل.. فكان (فى شهر رمضان) العرى الفاضح، والجلسات التى لا تتسم بالأدب، والتدخين، والشراب، والكلمات التى لا تتسم بالتهذيب، والضحكات الخارجة، وغير ذلك من نواحٍ لا أخلاقية.

إن هذا اللون من السلوك وهذا التصوُّر للحياة وهذا الطابع للأخلاق: هو الذى نحاربه فى الفن، وفى الأدب، وفى السينما، وفى المسرح، وفى التصوير، وفى النحت، وفى كل وضع يظهر فيه.. وهو الذى نريد أن نبعد طالب الأزهر عنه.

فإذا ما وجد من يُبيحه فإنه لا يكذب على الله - وحَسْب - وإنما يكذب على نفسه..

﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾(١)..

﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٢).

وبالله التوفيق.

عميد كلية أصول الدين

عبد الحليم محمود

---

(١) سورة الرعد: ٣٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠١.

٧ـ سؤال وجواب:

حول الخلط بين المذاهب الفنية والأدبية وبين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الوثيقة الصلة بتصوُّر العقيدة

سؤال : عـمـدَ بعض اللا دينيين إلى اخلط بين المذاهب الفنيـة والأدبية ، وبين المذاهب الاقتصادية والاجتماعية الوثيقة الصلة بتصور العقيدة . . ما تعليق فضيلتكم على ذلك ؟

الجواب:

« المذاهب الفنية والأدبية » التى تتعلق بوسيلة التعبير ، وكيفية توصيل المعانى إلى الناس : لا يقيِّدها الدين إلا من ناحية ما تعبِّر عنه ، أى أن الدين يهـتم بالمعنى المعبَّـر عنه ، وبأن تكون وسـيلة التعبير غير مفيدة معنًى آخر . . وبأن يكون هذا المعنى فى إطار الخير . .

ومن المفيد أن نشير إلى قوله تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾(١) .

أى أن الرسـالة لا يمكن أن تصل إلى المُـرْسَل إليـهم ؛ إلا إذا كانت بلغة يعرفونها ، وبلسان يفهمونه .

وقد أوجب الإسلام تعلُّم لغات الناس لتوصيل الدعوة إلى غير العرب انطلاقاً من قاعدة «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب» .

---

(١) سورة إبراهيم: ٤ .

وانطلاقاً من هذه القاعدة ؛ تنوَّعت أساليب القرآن من محاورات عقلية إلى أمثال حسية ، إلى قصص أدبية ، ليتسع مجال فهمه لكل العقول ، ولشتَّى البيئات ، وهو سر من أسرار الإعجاز فيه . إن كل إنسان ـ مهما كانت درجة ثقافته ـ يفيد منه ، ولا يمكن أن يرتفع إنسان ـ مهما عَلَتْ ثقافته ـ عن مستوى التعبير القرآنى الكريم .

وفى السُّنَّة الشريفة : تنوَّعت أساليب الرسول ﷺ ما بين استفهام لتنبيه الأذهان إلى ما يُلقَى من علوم ، وتوجيه مباشر ، وسؤال لاستخراج المعلومات من الناس ، ثم تصحيح هذه المعلومات ، إلى غير ذلك مما يجده الباحثون .

مذاهب التعبير ـ إذن ـ مذاهب إنسانية تختلف باختلاف أحوال الناس ونُظمهم ودرجة ثقافتهم ، والإسلام لا يقيِّدها ـ كما قلنا ـ إلا من ناحية ما تعبِّر عنه ، ومن ناحية الألفاظ المستخدمة فى التعبير .

أى أن الإسلام لا يبيح الخروج على آدابه ـ ولو فى اللفظة المستعملة فى التعبير ـ ويترك للمسلم بعد ذلك أن يعبِّر عن فكرته بالأسلوب الذى يريد ، دون أن يقيِّده بمذهب ما . . فلم يأت الإسلام بمذهب للتعبير لا يَرضى غيره . . وهكذا .

هذا عن « المذاهب الفنية والأدبية » . .

أما « المذاهب الاقتصادية والاجتماعية » فقد رسم الإسلام إطار التحرك فى مجالها بما سَنَّهُ من تكاليف ، وقرَّره من قواعد .

فأسلوب التصرف فى المال مقيَّد فى الإسلام بمراعاة أن يكون مصدره من حلال، وبأن يُدفع حق الله منه وهو الزكاة، وبأن لا يُفَرِّط الإنسان فى حق لازم عليه كالنفقة على أهل بيته، وصلة رحمه، وهكذا..

أما كيفية العمل فقد تركَ الإسلام للناس طريق التطور فى استخراج خيرات الأرض عن طريق الصناعة بطرقها المختلفة أو الزراعة أو التخصص فى مجال من المجالات.

و « المذاهب الاجتماعية » رسم الإسلام لها طرقاً لا ينبغى الخروج عليها، كنظام النكاح والطلاق وسائر ما يتعلق بتكوين الأسرة، وتركيب المجتمع، ومسئولية المسلم عن غيره من المسلمين.

وفيما عدا ذلك: تركَ الإسلام للمسلم أن ينظر فى «نُظُم» المجتمعات المختلفة، ويؤسس النظريات على أساس من هذا النظر، ليُظهر روعة الإسلام فيما قرَّره من أحوال المجتمعات، وليتكون له من البصر بشئون الدنيا ما يمكِّنه من نشر تعاليم الإسلام أو تطبيقها إن كان ممن يملك وسائل التطبيق.

« المذاهب الفكرية والفنية » إذن: وسائل للتعبير لا يقيِّدها الإسلام إلا من حيث ما تعبِّر عنه.

و « المذاهب الاقتصادية والاجتماعية » - إن وافقت الإسلام - أخذنا بها على أنها إسلام أو وَضْعٌ إلهى، لا على أنها أفكار بشرية، وإن خالفت الإسلام ضربنا بها عرض الحائط، إذ المسلم

لا يرى خيراً فيما لا يوافق دينه ، وإلا كان متناقضاً مع نفسه .

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[1].

تحريراً فى ٢٠ / ٨ / ١٩٧٥م .

عبد الحليم محمود

شيخ الأزهر

* * *

(١) سورة آل عمران : ٨٣ .

obeikandl.com